الحبشة ثم تلاحقوا به في المدينة بعد ان اعلى الله كلمته وهذا ايضا اعتزال عن الكفار
بعد اليأس منهم فانه عليه الصلاة والسلام لم يعتزل المسلمين ولا من توقع اسلامه من
الكفار واهل الكهف ما اعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وانما اعتزلوا الكفار وانما
النظر في العزلة من المؤمنين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر
الجهني لما قال يا رسول الله ما النجاة فقال ليسعك بيتك وامسك عليك لسانك
وابك على خطيئتك وروى انه قيل له صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل فقال
مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل في شعب من
الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد
التقي الغني الخفي وفي الاحتجاج بهذه الاحاديث نظر فاما قوله لعبد الله بن عامر
لا يمكن تنزيله الا على ما عرفه صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله وان لزوم البيت
كان اليق به واسلم من المخالطة فانه لم يامر جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون
سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وان لا يخرج الى
الجهاد وذلك لا يدل على ان ترك الجهاد افضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من
الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وعلى هذا ينزل قوله رجل معتزل يعبد
ربه ويدع الناس من شره فهذا اشارة الى شرير بطبعه تتأذى الناس بمخالطته
وقوله ان الله يحب التقي الخفي اشارة الى ايثار الخمول وتوقي الشهرة وذلك لا يتعلق
بالعزلة فكم من راهب معتزل تعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة
فهذا تعرض لامر لا يتعلق بالعزلة واحتجوا بما روي انه عليه الصلوة والسلام
قال الا انبئكم بخير الناس قالوا بلى قال فاشار بيده نحو المغرب فقال
رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار عليه الا اخبركم بخير الناس
بعده واشار بيده نحو الحجاز وقال رجل في غنيمة يقيم الصلوة ويؤتي الزكوة
ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس فاذا ظهر ان هذه الادلة لا شفاء
فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها

الباب الثاني

ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها

في فوائد العزلة وغوائلها

وكشف الحق في فضلها اعلم ان اختلاف الناس في
في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا ان ذلك يختلف باختلاف
الاحوال والاشخاص بحسب ما فصلناه من افات النكاح وفوائده فكذلك القول فيما نحن
فيه فلنذكر اولا فوائد العزلة وهي تنقسم الى فوائد دينية ودنيوية والدينية تنقسم الى
تمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم

والى تخلص

والى تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة والسكوت
عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديئة والاعمال الخبيثة من
الجلساء السوء واما الدنيوية فتنقسم الى تمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف
في خلوته والى تخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر الى زهرة الدنيا واقبال
الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروته بالمخالطة والتأذي
بسوء خلق الجليس في مرائه او سوء ظنه او نميمته او محاسدته او التأذي بثقله او تشوه
خلقته فالى هذا يرجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد

الفائدة الاولى

الفراغ للعبادة والفكر والاستيناس بمناجاة الله سبحانه وتعالى عن مناجات الخلق والا
شتغال باستكشاف اسرار الله في امر الدنيا والاخرة وملكوت السموات والارض فان
ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه ولهذا قال بعض
الحكماء لا يتمكن احد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله تعالى والمتمسكون بكتاب
الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله
وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ولا شك في ان هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر
والذكر فالعزلة اولى بهم ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء امره يتبتل في غار
حراء وينعزل اليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبونه عن الله فكان ببدنه
مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون ان ابا بكر خليله
فاخبر صلى الله عليه وسلم عن استغراق همه بالله تعالى فقال لو كنت متخذا خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا لكن صاحبكم خليل الرحمن ولن يتسع الجمع بين مخالطة الخلق
ظاهرا والاقبال على الله سرا الا قوة النبوة فلا ينبغي ان يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع
في ذلك ولا يبعد ان ينتهي درجة بعض الاولياء اليه فقد نقل عن الجنيد انه قال انا اكلم
الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون اني اكلمهم وهذا انما يتيسر للمستغرق بحب الله
استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي المشتهرين بحب الخلق من
يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول ولا ما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل
الذي دهاه ملم يشوش عليه امرا من امور دنياه قد يستغرقه الهم بحيث
يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع اصواتهم لشدة استغراقه وامر الاخرة اعظم
عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الاولى بالاكثرين الاستعانة بالعزلة ولذلك
قيل لبعض الحكماء ما الذي ارادوا بالخلوة واختيار العزلة فقال يستدعون بذلك
دوام الفكرة وتثبيت العلوم في قلوبهم ليحيوا حيوة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة
وقيل لبعض الرهبان ما اصبرك على الوحدة فقال ما انا وحدي انا جليس الله تعالى